تحول العقيدة الاستراتيجية لحلف الناتو في ضوء الحرب الروسية الأوكرانية
من الردع إلى المواجهة مع روسيا

أ.د مالك دحام متعب
جامعة النهرين -كلية العلوم السياسية
malik.daham@nahrainuniv.edu.iq

تحول العقيدة الاستراتيجية لحلف الناتو في ضوء الحرب الروسية الأوكرانية من الردع إلى المواجهة مع روسيا

أ.د مالك دحام متعب

جامعة النهرين -كلية العلوم السياسية

malik.daham@nahrainuniv.edu.iq

يركز هذا البحث على التحول الجوهري في العقيدة الاستراتيجية لحلف شمال الأطلسي (الناتو) في ظل الحرب الروسية الأوكرانية التي اندلعت عام 2022. فقد انتقل الناتو من سياسة الردع التقليدي إلى مواجهة شاملة ومتعددة الأبعاد مع روسيا، حيث عُدّت روسيا التهديد الأخطر لأمن الحلفاء وفقاً لقمة مدريد 2022. يناقش البحث أسباب هذا التحول، آثاره على هيكل الأمن الأوروبي والدولي، والتحديات التي تواجه الناتو في سياق بيئة أمنية معقدة ومتغيرة. كما يعتمد البحث منهجاً تحليلياً يجمع بين الدراسة النظرية والتطبيقية، مع التركيز على تحليل الوثائق الرسمية والتطورات العسكرية والسياسية للحلف، بهدف تقديم رؤية معمقة لدور الناتو المستقبلي في النظام الأمني الدولي.

الكلمات المفتاحية: حلف شمال الأطلسي (الناتو)، العقيدة الاستراتيجية، الحرب الروسية الأوكرانية، الردع.

NATO's Strategic Doctrine Shifts in Light of the Russo–Ukrainian War from Deterrence to Confrontation with Russia

Prof. Malik Daham Mutab

malik.daham@nahrainuniv.edu.iq

This study focuses on the fundamental shift in the strategic doctrine of the North Atlantic Treaty Organization (NATO) amid the Russian-Ukrainian war that erupted in 2022. NATO has moved from traditional deterrence policies to a comprehensive, multidimensional confrontation with Russia, which was designated as the greatest threat to allied security according to the Madrid Summit 2022. The research examines the causes of this transformation, its impact on European and international security structures, and the challenges NATO faces in a complex and evolving security environment. Employing an analytical approach that integrates both theoretical and practical perspectives, the study emphasizes the analysis of official documents and the alliance's military and political developments to provide an in-depth understanding of NATO's future role in the international security order

Keywords: NATO, Strategic Doctrine, Russia–Ukraine War, Deterrence.

المقدمة

يعدّ حلف شمال الأطلسي (الناتو) أحد أبرز المؤسسات الأمنية في النظام الدولي المعاصر، حيث ظلّ منذ تأسيسه عام 1949 يشكّل ركيزة أساسية في معادلة الأمن الجماعي الغربي، مستنداً إلى عقيدة استراتيجية جوهرها الردع والدفاع الجماعي. إلا أن التحولات الجيوسياسية التي شهدها العالم في العقود الأخيرة — لا سيّما بعد انتهاء الحرب الباردة — فرضت على الحلف مراجعة متكررة لأدبياته العسكرية، ومرتكزاته النظرية، ومجال تدخله الجغرافي والوظيفي. ومع اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية عام 2022، دخل الناتو مرحلة تحول نوعي في استراتيجيته، تجاوزت حدود الردع التقليدي إلى ملامح مواجهة صريحة مع خصم استراتيجي عادت علاقته بالحلف إلى سياق المواجهة المباشرة.

لقد مثّلت الحرب الأوكرانية نقطة تحوّل فارقة في إدراك الناتو لطبيعة التهديدات، إذ لم تعد روسيا تُعامل كشريك متردد أو خصم تقليدي، بل صارت تُوصَف رسمياً — في المفهوم الاستراتيجي الصادر عن قمة مدريد 2022 — بأنها "التهديد الأخطر والمباشر لأمن الحلفاء"، وهي سابقة لم تحدث منذ انهيار الاتحاد السوفييتي. هذا التحول لم يكن شكلياً أو خطابياً فحسب، بل انعكس في إعادة انتشار القوات، ورفع ميزانيات الدفاع، وتوسيع مهام الردع لتشمل الحروب السيبرانية والهجينة، بل ومراجعة الجاهزية النووية كذلك.

من هنا، تبرز أهمية هذا البحث في تفكيك وتحليل مسار التحول في العقيدة الاستراتيجية لحلف الناتو، ومحاولة الإجابة عن أسئلة جوهرية حول مألات هذا التحول، ومدى ثباته أو مرونته، وانعكاساته على هيكل النظام الدولي، وبنية الأمن الأوروبي تحديداً. كما يسعى البحث إلى رصد التحديات التي تواجه الحلف في سعيه لإعادة تموضعه الاستراتيجي، وإبراز الأثر التراكمي للحرب الأوكرانية في إعادة تشكيل مفاهيم الأمن الجماعي في القرن الحادي والعشرين.

أولا: أهمية البحث

تتجلّى أهمية هذا البحث في تسليطه الضوء على أحد أكثر التحولات الاستراتيجية حساسية في بنية الأمن الدولي المعاصر، والمتمثل في التبدّل الجوهري في العقيدة الاستراتيجية لحلف شمال الأطلسي (الناتو) عقب اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية عام 2022. فهذا التحول لم يقتصر على التكيّف مع تهديد طارئ أو ظرفي، بل مثّل – من منظور الأمن الجماعي الغربي – إعادة تعريف لمصادر التهديد، وأدوار الحلف، وتموضعه الجغرافي والاستراتيجي.

كما تنبع أهمية البحث من طابعه الراهن والمواكب، في ظل تصاعد التوتر بين القوى الكبرى، وما يرافقه من إعادة تشكّل التحالفات، وتجدد سباقات التسلّح، وتعاظم استخدام أدوات

الحرب غير التقليدية. ومن هنا، فإن تحليل مسار تحوّل الناتو من "الردع" إلى "المواجهة"، يُشكّل مدخلاً علمياً لفهم التغير في بنية العلاقات الدولية، وانعكاسات ذلك على منظومة الأمن الأوروبي، وعلى مستقبل الاستقرار العالمي.

ويُسهم هذا البحث أيضاً في سدّ فجوة معرفية في الدراسات العربية المتعلقة بعقيدة الناتو المعاصرة، خاصة أن معظم الأدبيات تركز على فترة الحرب الباردة أو على الناتو ما بعد 11 سبتمبر، دون التطرق العميق إلى ما بعد 2022. وبذلك، يُعد هذا الجهد إضافة نوعية في الحقلين الاستراتيجي والجيوسياسي، ومساهمة علمية في النقاش الدائر حول مستقبل النظام الدولي.

ثانيا: اهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والتحليلية، من أبرزها:

1. تحليل طبيعة التحول في العقيدة الاستراتيجية لحلف الناتو بعد اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية، واستجلاء مظاهر الانتقال من استراتيجية "الردع" إلى نمط "المواجهة متعددة الأبعاد."
2. رصد التداعيات المباشرة وغير المباشرة لهذا التحول على منظومة الأمن الأوروبي، والتوازنات الجيوسياسية في فضاء ما بعد الاتحاد السوفييتي.
3. تقييم انعكاسات العقيدة الجديدة للناتو على بنية النظام الدولي، لا سيّما في ظل تنامي الاستقطاب بين الغرب وروسيا، وعودة مفردات الحرب الباردة في الخطاب والممارسة.
4. تقديم مقاربة تحليلية تدمج بين المستويين النظري والتطبيقي، وتُسهم في إثراء الدراسات الاستراتيجية العربية المعاصرة فيما يخص تفاعلات الحلف ومفاهيمه العقائدية.

ثالثا: إشكالية البحث

تتمحور إشكالية هذا البحث حول التساؤل الجوهري الآتي: إلى أي مدى شكّلت الحرب الروسية الأوكرانية محفزاً لإعادة تشكيل العقيدة الاستراتيجية لحلف الناتو، وكيف انعكس هذا التحول على مفهوم الردع، ونطاق المواجهة، وبنية الأمن الإقليمي والدولي؟ ويتفرع من هذه الإشكالية الرئيسية عدد من التساؤلات الفرعية، أبرزها:

- ما أبرز سمات المفهوم الاستراتيجي الجديد للناتو كما أُقرّ في قمة مدريد 2022؟
- كيف تطورت أدوات الحلف العسكرية والسياسية لتتلاءم مع بيئة أمنية أكثر تعقيداً وتهديداً؟

- ما مدى استدامة هذا التحول العقائدي في ظل الانقسامات داخل الحلف، وتغير طبيعة التهديدات؟
- وما التداعيات المحتملة لهذا التحول على التوازن الدولي وما آلات الصراع شرق أوروبا؟

رابعا: فرضية البحث

ينطلق هذا البحث من فرضية أساسية مفادها أنّ الحرب الروسية الأوكرانية شكّلت نقطة تحوّل استراتيجية عميقة في بنية العقيدة الأمنية لحلف الناتو، بحيث انتقل الحلف من نموذج "الردع التقليدي" الذي كان قائماً على استباق التهديدات والاحتواء، إلى نموذج "المواجهة الشاملة" متعددة الأبعاد، والتي تعتمد على إعادة الانتشار الدائم، وتكثيف الحضور العسكري في الشرق الأوروبي، وتعزيز الاستعداد النووي والتقني، بما يفضي إلى إعادة رسم ملامح التوازن الأمني الأوروبي والدولي على السواء.

وبناءً عليه، يُفترض أن هذا التحول لا يعبّر عن استجابة ظرفية مؤقتة، بل يعكس توجّهاً طويل المدى نحو إعادة تعريف دور الناتو بوصفه فاعلاً استراتيجياً في بيئة دولية تميل نحو مزيد من الاستقطاب والتنافس الصِفري.

خامسا: مناهج البحث

يعتمد هذا البحث على منهجية مركبة تجمع بين المنهج الاستنباطي والمنهج الاستقرائي لتحقيق فهم معمق وشامل للتحولات الاستراتيجية في عقيدة حلف شمال الأطلسي (الناتو) في ظل الحرب الروسية الأوكرانية.

- **المنهج الاستنباطي** :يبدأ البحث من الأُطر النظرية العامة المتعلقة بمفاهيم الردع، المواجهة، والعقيدة الاستراتيجية للحلف، مستنداً إلى الأدبيات والمفاهيم المعتمدة سابقاً، لاستنتاج فرضيات قابلة للاختبار تتعلق بطبيعة التحولات الراهنة.
- **المنهج الاستقرائي** :يستند إلى جمع وتحليل البيانات والوقائع الخاصة بالحرب الأوكرانية، من خلال مراجعة الوثائق الرسمية للناتو، القرارات السياسية والعسكرية، والتصريحات الرسمية، لاستقراء أنماط وتوجهات جديدة في الاستراتيجية الأمنية.

كما يستفيد البحث من **منهج دراسة الحالة**، حيث تم اختيار الحرب الروسية الأوكرانية كحالة دراسية نموذجية، تساعد على تتبع ديناميات التغيير في العقيدة الاستراتيجية للحلف، وتحليل تأثيرها على بنية الأمن الأوروبي والدولي، كما يستخدم البحث **التحليل الوثائقي** والمقارن بين الإصدارات المختلفة لمفاهيم الناتو الاستراتيجية، مما يعزز فهم السياقات والتطورات التاريخية التي أدت إلى إعادة تشكيل استراتيجيات الحلف، يُعزز هذا التداخل المنهجي قدرة البحث على الربط

بين النظرية والتطبيق، مما يوفر قراءة متكاملة للتغيرات المعاصرة في سياسات الناتو واستراتيجياته.

المبحث الأول: الخلفية التاريخية للعقيدة الاستراتيجية لحلف الناتو

شكّلت التحالفات العسكرية عبر التاريخ أداة مركزية في ضبط موازين القوى، وبناء أنماط الردع الجماعي، إلا أن حلف شمال الأطلسي (الناتو) ظل يحتل موقعاً استثنائياً بوصفه أبرز تجسيد مؤسسي للأمن الجماعي الغربي منذ تأسيسه عام 1949. وقد بُنيت عقيدته الاستراتيجية تقليدياً على الردع والاحتواء، مع تركيز على الجبهة الأوروبية في مواجهة التهديدات القادمة من الشرق. غير أن المتغيرات الجيوسياسية ما بعد الحرب الباردة، وأحداث 11 سبتمبر، والاضطرابات العالمية، فرضت على الحلف مراجعة متواصلة لعقيدته الأمنية، لكنها لم تبلغ مستوى التحوّل الجذري إلا مع اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية عام 2022.[1]

لقد أعادت هذه الحرب تفعيل منطق المواجهة المباشرة بين القوى الكبرى، وأعادت إلى الواجهة مفردات الحرب الباردة، مما دفع الناتو إلى تبني مفهوم استراتيجي جديد تم اعتماده رسمياً في قمة مدريد (2022). هذا المفهوم مثّل نقلة نوعية في العقيدة الدفاعية، حيث تم تصنيف روسيا لأول مرة منذ تفكك الاتحاد السوفييتي بأنها "التهديد الأخطر والمباشر لأمن الحلفاء"، ما يعني الانتقال من عقيدة الردع إلى نمط أكثر هجومية واستباقاً، تُرجم على الأرض من خلال إعادة الانتشار العسكري، ورفع مستوى الإنفاق الدفاعي، وتكثيف التنسيق الأمني في الجبهة الشرقية.[2]

المطلب الأول: نشأة الناتو وتطور استراتيجيته العسكرية

أولاً: الخلفية التاريخية لتأسيس الناتو

تأسس حلف شمال الأطلسي (الناتو) في الرابع من أبريل عام 1949، بوصفه تحالفاً عسكرياً–سياسياً يهدف إلى توفير مظلة أمنية جماعية للدول الغربية في مواجهة التهديدات التي فرضها الاتحاد السوفييتي خلال حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وقد شكّل الناتو تجسيداً مؤسسياً لمبدأ الأمن الجماعي، المستند إلى التعهد المشترك بالدفاع عن أي دولة عضو تتعرض لهجوم، كما ورد في المادة الخامسة من ميثاقه التأسيسي[3]. وفي سياق الحرب الباردة، تركزت الاستراتيجية الدفاعية للحلف على مبدأ "الردع النووي الشامل"، إذ لعبت الولايات المتحدة دور الضامن المركزي للأمن الأوروبي من خلال مظلتها النووية وقواعدها العسكرية المنتشرة في أوروبا الغربية.

ثانياً: مراحل تطور الاستراتيجية العسكرية للناتو

لقد كان للاستراتيجية العسكرية لحلف الناتو مراحل عدة أهمها الآتي[4]:

1- مرحلة الردع النووي المتكافئ :(1950s–1960s) خلال العقدين الأولين من عمر الحلف، تبنى الناتو سياسة "الردع النووي المتكافئ(Massive Retaliation) "، والتي قامت على التهديد برد نووي ساحق في حال تعرض أي من أعضائه لهجوم، وذلك بغية تحقيق ردع شامل للاتحاد السوفييتي.

2- مرحلة الرد المرن :(1970s) مع تصاعد المخاوف من التصعيد النووي الكارثي، اتجه الناتو إلى تبنّي استراتيجية "الرد المرن(Flexible Response) "، التي تسمح باستخدام تدريجي ومدروس للقوة – بدءاً من الوسائل التقليدية وصولاً إلى النووية – حسب مستوى التهديد، بما يمنح الحلف هامشاً أوسع من المرونة العملياتية.

3- مرحلة ما بعد الحرب الباردة (1991 فصاعداً): مع انهيار الاتحاد السوفييتي، أعاد الناتو تعريف ذاته بوصفه ليس فقط تحالفاً دفاعياً، بل أيضاً فاعلاً أمنياً عالمياً. توسعت مهامه لتشمل إدارة الأزمات، عمليات حفظ السلام، والتدخل في النزاعات خارج الإقليم التقليدي للحلف، كما تجلى في عملياته في البوسنة والهرسك، كوسوفو، وأفغانستان.

ثالثاً: التوسع الجغرافي باتجاه الشرق

شهد حلف شمال الأطلسي (الناتو) توسعاً جغرافياً باتجاه الشرق بعد نهاية الحرب الباردة، في سياق إعادة رسم الخريطة الأمنية الأوروبية. يمكن تلخيص هذا التوسع بشكل علمي مركز على النحو التالي:[5]

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك حلف وارسو أتاح للناتو فرصة ضم دول أوروبا الوسطى والشرقية التي كانت سابقاً ضمن النفوذ السوفيتي، تحت مبررات أمنية وسياسية واقتصادية والمراحل الأساس للتوسع شرقاً:

1. المرحلة الأولى :(1999) انضمام بولندا، التشيك، والمجر – وهي أول دول من الكتلة الشرقية السابقة تنضم للحلف.
2. المرحلة الثانية :(2004) انضمام سبع دول، بينها دول البلطيق (إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا)، وسلوفاكيا، وسلوفينيا، ورومانيا، وبلغاريا.
3. المراحل اللاحقة :شملت انضمام ألبانيا وكرواتيا (2009)، الجبل الأسود (2017)، ومقدونيا الشمالية (2020)، وفنلندا (2023)، والسويد(2024)

وقد عُدّ هذا التوسع من قبل روسيا تهديداً مباشراً لأمنها القومي، وأسهم في توتر العلاقات بين الناتو وروسيا، بخاصة مع اقتراب حدود الحلف من المجال الحيوي الروسي.

جدول رقم (1): الجدول الزمني لتوسع الناتو شرقاً

الدول المنضمة	الانضمام	ملاحظات استراتيجية
بولندا، المجر، التشيك	1999	**أول توسع بعد الحرب الباردة**
إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا، بلغاريا، رومانيا، سلوفاكيا، سلوفينيا	2004	**أكبر دفعة انضمام – ضمت دول البلطيق القريبة من روسيا**
ألبانيا، كرواتيا	2009	**تعميق حضور الحلف في البلقان**
الجبل الأسود	2017	**رغم اعتراض روسي واضح**
مقدونيا الشمالية	2020	**بعد حل نزاع التسمية مع اليونان**
فنلندا	2023	**بعد الغزو الروسي لأوكرانيا**
السويد	2024	**خطوة رمزية في تحييد شمال أوروبا من النفوذ الروسي**

رابعاً: التحديات الاستراتيجية قبل عام 2022

قبل عام 2022، واجه حلف شمال الأطلسي (الناتو) مجموعة من التحديات الاستراتيجية غير التقليدية والمعقدة التي عكست تحوّل بيئة الأمن الدولي بعد الحرب الباردة. هذه التحديات لم تكن تقليدية بالمعنى العسكري المباشر، بل تنوعت بين التهديدات السيبرانية، والصراعات الهجينة، والإرهاب، والتنافس الجيوسياسي المتعدد الأقطاب. يمكن تصنيف أبرزها كما يلي:

1- التهديدات السيبرانية:(Cyber Threats) [6]

- شهد الناتو تصاعداً في الهجمات السيبرانية ضد بنيته التحتية وأعضائه، من قبل دول وفاعلين غير حكوميين.
- روسيا، والصين، ومجموعات إلكترونية مستقلة كانت من بين أبرز الجهات المتهمة.
- دفعت هذه التهديدات الحلف إلى إعلان الفضاء السيبراني مجالاً عملياتيا جديداً عام 2016.

2- الحروب الهجينة[7]:(Hybrid Warfare)

- تشمل مزيجاً من الأدوات العسكرية وغير العسكرية (دعاية، تضليل، دعم قوات بالوكالة، هجمات سيبرانية).
- ظهرت بوضوح في ضم روسيا لشبه جزيرة القرم عام 2014.
- شكلت تحدياً مباشراً لعقيدة الحلف التقليدية القائمة على الهجوم المباشر والرد الجماعي.

3- الإرهاب العابر للحدود:[8]

- بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، أصبح الإرهاب مصدر قلق استراتيجي دائم.
- شملت استجابة الناتو المشاركة في عمليات خارج أراضيه مثل أفغانستان، والتعاون الاستخباراتي بين الدول الأعضاء.
- برزت تهديدات من تنظيمات مثل "داعش"، خاصة في الموجة الإرهابية التي اجتاحت أوروبا بين 2015–2017.

4- عدم الاستقرار في الجوار الجغرافي:[9]

- أزمات سوريا، ليبيا، والعراق، أسهمت في خلق بيئة من عدم الاستقرار على أطراف الحلف الجنوبية.
- أدت إلى تحديات متعلقة باللاجئين، الأمن البحري، وتسلل جماعات متطرفة.

5- انقسام داخلي وتباين استراتيجي بين الأعضاء:

الانقسام الداخلي والتباين الاستراتيجي بين أعضاء حلف الناتو، على الرغم من أن حلف شمال الأطلسي (الناتو) يُعتبر تحالفاً عسكرياً قوياً وموحداً، إلا أنه شهد في السنوات الأخيرة انقسامات داخلية وتبايناً في التوجهات الاستراتيجية بين أعضائه، مما أثر على فعاليته ووحدته.

أ- الإنفاق الدفاعي وتقاسم الأعباء

لطالما كانت قضية الإنفاق الدفاعي مصدر توتر بين أعضاء الناتو، خاصة بين الولايات المتحدة والدول الأوروبية .في ظل إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، تم الضغط على الحلفاء الأوروبيين لزيادة إنفاقهم الدفاعي إلى 5% من الناتج المحلي الإجمالي، بدلاً من الهدف التقليدي البالغ 2 %هذا الطلب قوبل بقلق من بعض الدول الأوروبية، التي اعتبرت أن هذه الزيادة قد تؤدي إلى سباق تسلح غير مبرر وتزيد من الأعباء المالية عليها.[10]

ب- العلاقة مع روسيا

تباينت مواقف أعضاء الناتو تجاه روسيا، حيث دعت بعض الدول، مثل بولندا ودول البلطيق، إلى اتخاذ مواقف أكثر تشدداً ضد روسيا، بينما كانت دول أخرى، مثل ألمانيا وفرنسا، تميل إلى سياسة الحوار والاحتواء .هذا التباين في المواقف أثر على اتخاذ قرارات موحدة داخل الحلف، خاصة في قضايا مثل العقوبات على روسيا والتوسع شرقاً.

ج- التوترات الأمريكية–الأوروبية

شهدت العلاقات بين الولايات المتحدة وأوروبا توتراً ملحوظاً خلال فترة رئاسة ترامب، حيث تم التشكيك في التزام الولايات المتحدة بضمان الأمن الأوروبي .تصريحات ترامب حول

إمكانية انسحاب الولايات المتحدة من الناتو إذا لم تزد الدول الأوروبية من إنفاقها الدفاعي أثارت قلقاً كبيراً بين الحلفاء الأوروبيين.

د- التحديات المستقبلية

مع استمرار التحديات الأمنية العالمية، مثل التهديدات السيبرانية والصراعات الإقليمية، يُتوقع أن تستمر الانقسامات الداخلية داخل الناتو .من الضروري أن يعمل الحلف على تعزيز التنسيق بين أعضائه وتوحيد مواقفه لمواجهة هذه التحديات بفعالية.

6- الصعود الجيوسياسي للصين: تحدٍّ طويل الأمد لحلف الناتو

بدأت الصين تُشكّل مصدر قلق استراتيجي متزايد لحلف شمال الأطلسي، ليس بسبب تهديد عسكري مباشر، بل بسبب اتساع نفوذها في المجالات التكنولوجية، السيبرانية، والاقتصادية. في وثيقة "المفهوم الاستراتيجي" التي أقرها الناتو خلال قمة مدريد عام 2022، تم لأول مرة إدراج الصين بوصفها "**تحدياً منهجياً** (Systemic Challenge) " للأمن والقيم الغربية، في إشارة إلى التحول في نظرة الحلف لطبيعة التهديدات القادمة من بكين.

أبرز أبعاد هذا التحدي:[11]

1-النفوذ التكنولوجي والاختراق السيبراني:

- أبدت الصين قدرات متقدمة في تقنيات الذكاء الاصطناعي والاتصالات، وسط اتهامات باستخدامها هذه الأدوات في عمليات تجسس وهجمات سيبرانية تستهدف بنى تحتية في دول الناتو.
- في قمة الناتو 2019 بلندن، تم الاتفاق على تصنيف الفضاء السيبراني كمجال عملياتي، ما يعكس تصاعد التهديدات الصينية الرقمية.

2-التمدد العسكري غير المباشر والتعاون مع روسيا:[12]

- عززت الصين تعاونها الدفاعي مع روسيا عبر تدريبات عسكرية مشتركة، وتوسيع نفوذها في المحيط الهادئ، ما يهدد بتقويض الاستقرار الدولي، ويدعو الناتو لتوسيع نطاق رؤيته الأمنية.

3-النفوذ الاقتصادي والاستراتيجي عبر الحزام والطريق[13]**:**

مشاريع البنية التحتية التي تموّلها الصين في أوروبا الشرقية، والبلقان، وحتى في بعض دول البحر المتوسط، أثارت مخاوف بشأن تبعية استراتيجية قد تؤثر على قرارات تلك الدول ضمن الحلف.

بناءً على ما تقدم كان الناتو يواجه مشهداً أمنياً معقداً متعدد الأبعاد قبل 2022 تحوّل فيه التهديد من الشكل العسكري التقليدي إلى تهديدات غير تقليدية تتطلب أدوات مرنة وتحالفات تقنية وسياسية جديدة. الغزو الروسي لأوكرانيا في 2022 أعاد الحلف إلى صلب مهمته التقليدية، لكنه لم يُلغِ هذه التحديات.

المطلب الثاني: مفهوم الردع في العقيدة الاستراتيجية للناتو

يشمل الردع **(Deterrence)** في العقيدة الاستراتيجية لحلف شمال الأطلسي (الناتو) جوانب مفاهيمية وتطورية وعسكرية، كما تم تبنيه وتطويره في الأدبيات الرسمية والتحليلية للحلف، وعليه فان مفهوم الردع (Deterrence) في لعقيدة الاستراتيجية لحلف الناتو يُقصد به في المفهوم العسكري والاستراتيجي" قدرة الفاعل على منع الخصم من الإقدام على سلوك عدائي معين من خلال التهديد باستخدام قوة مؤلمة أو كُلفة عالية إذا أقدم على هذا السلوك.[14]

في سياق الناتو، يُعد الردع حجر الزاوية في عقيدة الحلف الدفاعية، ويستند إلى مزيج من القدرات العسكرية التقليدية، والنووية، والسيبرانية، والسياسية التي تهدف إلى إقناع الخصوم بأن تكلفة أي اعتداء على أحد أعضائه ستكون باهظة جداً، بحيث لا تستحق المخاطرة.

ثانياً :أشكال الردع في استراتيجية الناتو

حلف الناتو يعتمد على ما يُعرف بـ **الردع الشامل** (Comprehensive Deterrence)، ويتضمن الأبعاد التالية:

1- الردع النووي:(Nuclear Deterrence) [15]

- يُعد الركيزة الأقدم في عقيدة الردع، حيث يُهدد الحلف باستخدام الأسلحة النووية إذا تعرض أي من أعضائه لهجوم وجودي.
- منذ الخمسينيات، اعتمد الناتو على سياسة "الردع النووي المتكافئ (Massive Retaliation)"، ثم "الرد المرن (Flexible Response)" منذ السبعينيات، والتي تسمح بالتدرج في استخدام القوة.
- المظلة النووية الأمريكية لا تزال تشكل العمود الفقري للردع النووي الجماعي، إلى جانب الأسلحة النووية البريطانية والفرنسية.

2- الردع التقليدي:(Conventional Deterrence)

الردع التقليدي (Conventional Deterrence) هو أحد المفاهيم الأساسية في الدراسات الاستراتيجية والعلاقات الدولية، ويُشير إلى استخدام القوات العسكرية التقليدية (غير النووية) كأداة لردع الخصم عن اتخاذ إجراءات عدائية، وذلك عبر إظهار الاستعداد العسكري

والقدرة على الدفاع والرد السريع بما يجعل تكلفة العدوان المحتمل مرتفعة جداً وغير مجدية من الناحية الاستراتيجية.

في السياق الأوروبي، وخاصة ضمن سياسة حلف شمال الأطلسي (الناتو)، يتجلى الردع التقليدي من خلال نشر قوات قتالية وتجهيزات عسكرية على طول الحدود الشرقية للحلف، لا سيما في دول البلطيق (ليتوانيا، لاتفيا، إستونيا) وبولندا. تهدف هذه الإجراءات إلى التأكيد على التزام الحلف بالدفاع الجماعي المنصوص عليه في المادة الخامسة من ميثاق الناتو، وتعزيز القدرة على الاستجابة الفورية لأي تهديد، مما يُفقد أي محاولة هجومية عنصر المفاجأة ويجعلها مكلفة سياسياً وعسكرياً.

وقد أوضح Barry R. Posen في كتابه *The Sources of Military Doctrine: France, Britain, and Germany Between the World Wars* (1984)، أن الردع التقليدي يعتمد على المصداقية والقدرة؛ أي أن يكون الخصم مقتنعاً بأن الدولة أو التحالف لديه النية والقدرة على الدفاع عن نفسه، وأن أي هجوم سيُقابل برد فعّال. ويشير أيضاً إلى أهمية الانتشار المسبق للقوات ووجود بنية تحتية عسكرية تدعم العمليات السريعة والفعالة.

وفي سياق الناتو، فإن "المجموعة القتالية الأمامية المعززة (Enhanced Forward Presence – EFP)"، التي أُنشئت بعد قمة وارسو 2016، تُعدّ مثالاً عملياً على الردع التقليدي. فهذه القوات متعددة الجنسيات تتمركز بشكل دائم في الدول الأعضاء الشرقية كجزء من استراتيجية الردع والدفاع الشامل للحلف.[16]

3- الردع السيبراني والهجين:(Cyber & Hybrid Deterrence)

الردع السيبراني والهجين هما نوعان من الردع في بيئة الأمن المعاصر، يهدفان إلى منع الخصوم من شن هجمات غير تقليدية مثل الهجمات الإلكترونية أو الهجمات المركبة التي تجمع بين وسائل عسكرية وغير عسكرية.

فالردع السيبراني(Cyber Deterrence) يقصد به استخدام التهديد بالعقوبة أو الإنكار لمنع الفاعلين من شن هجمات إلكترونية. يعتمد على القدرة على:

- الإنكار :(Denial) تقوية الدفاعات الإلكترونية لحرمان المهاجم من تحقيق أهدافه.
- العقوبة :(Punishment) الرد على الهجوم بعقوبات أو بهجمات مقابلة (قد تكون إلكترونية أو تقليدية).

وعليه فالردع السيبراني هو استخدام التهديدات الموثوقة لجعل الهجمات الإلكترونية غير مربحة أو مكلفة بالنسبة للخصم.[17]

اماالردع الهجين:(Hybrid Deterrence) يرتبط بمواجهة التهديدات "الهجينة"، التي تشمل مزيجاً من الأدوات العسكرية، والدبلوماسية، والإعلامية، والاقتصادية، والهجمات الإلكترونية، والدعاية. الهدف هو منع الخصم من استخدام أساليب غير تقليدية تحت عتبة الحرب المفتوحة.

وبذلك يكون الردع الهجين هو مزيج من الأدوات السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية تُستخدم لمنع الخصوم من تنفيذ استراتيجيات هجينة دون إثارة رد عسكري تقليدي مباشر.[18]

4- الردع من خلال التماسك السياسي:

الردع من خلال التماسك السياسي يُعدّ استراتيجية فعّالة في مواجهة التهديدات الأمنية، حيث يعتمد على تعزيز الوحدة الداخلية والانسجام بين مؤسسات الدولة والمجتمع .هذا التماسك يُسهم في تقوية قدرة الدولة على التصدي للأزمات والحفاظ على استقرارها.

تعريف الردع من خلال التماسك السياسي:

يُشير الردع من خلال التماسك السياسي إلى استخدام الوحدة الداخلية والانسجام بين مؤسسات الدولة والمجتمع كوسيلة لردع التهديدات الأمنية .عندما تكون الدولة متماسكة داخلياً، فإنها تُظهر قوة وصلابة، مما يجعلها أقل عرضة للتأثر بالتحديات الخارجية.

أهمية التماسك السياسي في الردع:

1. تعزيز الثقة والشرعية: عندما يشعر المواطنون بالثقة في مؤسسات دولتهم، يزداد دعمهم للسياسات الوطنية، مما يُعزز من شرعية النظام السياسي.
2. استقرار المؤسسات: التماسك السياسي يُسهم في استقرار المؤسسات الحكومية، مما يُمكّنها من اتخاذ قرارات فعّالة في مواجهة التحديات.
3. ردع التدخلات الخارجية: دولة متماسكة داخلياً تُظهر قوة وصلابة، مما يجعلها أقل عرضة للتأثر بالتدخلات الخارجية.

تأسيسا على ما تقدم ان وحدة الصف داخل الحلف، والقدرة على اتخاذ قرارات جماعية موحدة، يُعد شكلاً غير مباشر من الردع السياسي والدبلوماسي، إذ يُظهر للخصوم أن أي اعتداء سيقابل برد شامل ومنسق.

ثالثاً :التحول المفاهيمي في مفهوم الردع (ما بعد الحرب الباردة)

- بعد 1991، لم يعد التهديد المباشر من الاتحاد السوفييتي قائماً، فتطورت العقيدة لتشمل *الردع ضد تهديدات غير تقليدية*)كالإرهاب، الحروب الهجينة، التهديدات السيبرانية.(

- عاد الردع النووي ليبرز مجدداً في ظل الأزمة الأوكرانية بعد 2014، وما تلاها من صعود التوتر مع روسيا.
- في الوثيقة الاستراتيجية الجديدة للناتو 2022، ذُكر أن "الردع والدفاع هو الغاية الأساسية للحلف"، وتم التأكيد على اعتماد **نموذج دفاع متقدم وردع معزز (Enhanced Forward Deterrence)**.

رابعاً :الردع المتكامل – (Integrated Deterrence) التوجه الحديث

الردع المتكامل (Integrated Deterrence) هو استراتيجية أمنية حديثة تعتمد على دمج مجموعة واسعة من القدرات العسكرية وغير العسكرية لردع الخصوم، بحيث تجعل أي تصعيد محتمل مكلفاً ومعقداً على عدة مستويات. ووفقاً لاستراتيجية الأمن القومي الأمريكية لعام 2022، يُعرّف الردع المتكامل بأنه "استخدام مزيج متكامل من القدرات العسكرية وغير العسكرية عبر المجالات والمناطق والوكالات الحكومية والحلفاء والشركاء لردع العدوان وتعزيز الأمن القومي ."[19]

مكونات الردع المتكامل

1. التكامل عبر المجالات :يشمل الجمع بين القدرات العسكرية (كالبرية والجوية والبحرية والفضائية والسيبرانية) وغير العسكرية (كالاقتصادية والتكنولوجية والإعلامية) لخلق ردع شامل
2. التكامل عبر المناطق :يستهدف الردع المتكامل التهديدات في مناطق متعددة، مما يجعل من الصعب على الخصم تحديد نقطة ضعف واحدة للهجوم.
3. التكامل بين الوكالات الحكومية :يشمل التنسيق بين مختلف الوكالات الحكومية، مثل الدفاع والاستخبارات والدبلوماسية، لضمان استجابة موحدة وفعّالة.
4. التكامل مع الحلفاء والشركاء :يُعزّز الردع المتكامل من خلال التعاون مع الحلفاء والشركاء، مما يُظهر تضامناً دولياً ويُصعّب على الخصم تجاوز الردع.

أهمية الردع المتكامل

يُعتبر الردع المتكامل أداة فعّالة في مواجهة التهديدات المعقدة والمتعددة الأبعاد، مثل الهجمات السيبرانية أو الهجمات الهجينة، حيث يُصعّب على الخصم تحديد مجالات الهجوم والاستفادة منها .كما يُظهر الردع المتكامل قوة الدولة وتماسكها، مما يُقلّل من فرص العدوان.

وعليه فان الردع المتكامل هو نهج استراتيجي يدمج القدرات العسكرية وغير العسكرية عبر مختلف المجالات والمناطق والوكالات الحكومية والحلفاء والشركاء، بهدف ردع العدوان

وتعزيز الأمن القومي .يُعتبر هذا النهج ضرورياً في مواجهة التهديدات المعاصرة التي تتسم بالتعقيد والتنوع.

المبحث الثاني: تأثير الحرب الأوكرانية على حلف الناتو

شكّلت الحرب الأوكرانية منذ اندلاعها في فبراير 2022 نقطة تحوّل محورية في المشهد الأمني الأوروبي والدولي، حيث أعادت إلى الواجهة أدوار حلف شمال الأطلسي (الناتو) بوصفه الفاعل الأمني والعسكري الرئيس في الفضاء الأوروبي. فقد دفعت هذه الأزمة التحالف إلى إعادة تقييم استراتيجياته الدفاعية، وتعزيز انتشاره العسكري في دول أوروبا الشرقية، إلى جانب تسريع عملية توسّعه الجغرافي وتكثيف تنسيقه السياسي والعسكري. يتناول هذا المبحث أبرز أوجه التأثير التي خلّفتها الحرب الأوكرانية على بنية وأداء الناتو، من حيث العقيدة الاستراتيجية، والقدرات العملياتية، وآفاق مستقبل الحلف في ظل التحديات الروسية المتزايدة.

المطلب الأول: تحليل التدخل غير المباشر لحلف الناتو في الحرب الأوكرانية

منذ اندلاع الحرب الأوكرانية في فبراير 2022، واجه حلف شمال الأطلسي (الناتو) تحدياً استراتيجياً معقداً، تمثل في كيفية دعم أوكرانيا دون الانزلاق إلى صراع مباشر مع روسيا . هذا التحدي دفع الناتو إلى اعتماد استراتيجية "التدخل غير المباشر"، التي تجمع بين الدعم العسكري والاقتصادي واللوجستي، مع الحفاظ على توازن دقيق لتجنب التصعيد المباشر.

أولاً: الدعم العسكري غير المباشر

على الرغم من أن الناتو لم يشارك مباشرة في العمليات القتالية، إلا أن أعضائه قدموا دعماً عسكرياً كبيراً لأوكرانيا .وفقاً لتقرير معهد كيل للاقتصاد العالمي، بلغ إجمالي المساعدات العسكرية المقدمة من دول الناتو إلى أوكرانيا حتى نوفمبر 2022 حوالي 75.2 مليار يورو، شملت أسلحة متقدمة مثل أنظمة الدفاع الجوي "إيريس-تي"، صواريخ "جافلين"، دبابات "تشالنجر 2"، و"أبرامز"، بالإضافة إلى طائرات "إف-16" الموعودة[20] ويتضح مما تقدم الدعم اللوجستي والتقني الكبير من الدول الأعضاء، بخاصة الولايات المتحدة، وبريطانيا، وألمانيا

فضلا عن تنظيم دول الناتو برامج تدريبية لأفراد الجيش الأوكراني، مثل "عملية أوربيتال" البريطانية، التي بدأت في عام 2015، و"عملية إنترفليكس" التي انطلقت في يوليو 2022، والتي تهدف إلى تعزيز القدرات القتالية والتكتيكية للقوات الأوكرانية[21] ولا يمكن تجاهل الدعم الاستخباراتي والفضائي لتحديد تحركات القوات الروسية

ثانياً: الدعم اللوجستي والاقتصادي

لم يقتصر دعم الناتو على المساعدات العسكرية فقط، بل شمل أيضاً الدعم اللوجستي والاقتصادي .تم إنشاء "مجموعة رامشتاين" في أبريل 2022، وهي منتدى يضم أكثر من 50

دولة، بما في ذلك جميع أعضاء الناتو وأكثر من 20 دولة شريكة، لتنسيق وتسهيل تقديم المساعدات العسكرية واللوجستية لأوكرانيا[22].

كما قامت الاتحاد الأوروبي، الذي يضم العديد من دول الناتو، بتخصيص 11.1 مليار يورو من خلال "صندوق المساعدة لأوكرانيا" لدعم الاقتصاد الأوكراني، بالإضافة إلى تدريب أكثر من 50,000 جندي أوكراني في إطار "بعثة المساعدة العسكرية لأوكرانيا[23]

ثالثاً: الدعم السيبراني والإنساني

في مجال الأمن السيبراني، أصبحت أوكرانيا عضواً كاملاً في "مركز التميز للدفاع السيبراني التعاوني" التابع للناتو في مايو 2023، مما يعكس تعزيز التعاون في مواجهة التهديدات الرقمية وقد ساهم الناتو في تأمين البنية التحتية المعلوماتية لأوكرانيا في مواجهة الهجمات السيبرانية الروسية، اما على الصعيد الإنساني، دعم الناتو لأوكرانيا في إعادة تأهيل الجنود المصابين، وتوفير المساعدات الطبية، والمساهمة في إزالة الألغام، بالإضافة إلى دعم جهود إعادة الإعمار بعد الحرب.

تأسيسا على ما تقدم يمكن القول إن حلف الناتو، من خلال استراتيجيته في التدخل غير المباشر، قد نجح في تقديم دعم كبير لأوكرانيا دون الانزلاق إلى صراع مباشر مع روسيا، ومع استمرار الحرب، يبقى دور الناتو محورياً في تعزيز قدرات أوكرانيا الدفاعية، مع الحفاظ على التوازن بين الدعم والتصعيد. أي ان الناتو ورغم الدعم الكبير، تجنّب أي خطوات قد تُفسر كـ "مواجهة مباشرة"، خشية التصعيد إلى صدام شامل أو نووي.

المطلب الثاني: تداعيات الحرب على العلاقة بين الناتو وروسيا

منذ اندلاع الحرب الأوكرانية في فبراير 2022، شهدت العلاقات بين حلف شمال الأطلسي (الناتو) وروسيا تحولاً جذرياً، حيث انتقلت من التعاون المحدود إلى حالة من العداء والتوتر المستمر .هذا التحول يعكس تأثيرات استراتيجية وأمنية واقتصادية عميقة على الجانبين، ويعيد تشكيل المشهد الأمني في أوروبا والعالم.

أولاً: انهيار التعاون المؤسسي

بعد ضم روسيا لشبه جزيرة القرم في 2014، علّق الناتو جميع أشكال التعاون المدني والعسكري مع موسكو، مع الإبقاء على قنوات الاتصال السياسية والعسكرية لتجنب التصعيد، ومع الغزو الشامل لأوكرانيا في 2022، أعلن الناتو أن روسيا لم تعد شريكاً، بل أصبحت التهديد الأكبر لأمن الحلفاء، مؤكداً على ضرورة الرد الجماعي على العدوان الروسي[24] .

ثانياً: تعزيز الردع والتوسع العسكري

أدى العدوان الروسي إلى تعزيز وحدة الناتو وزيادة الإنفاق الدفاعي بين أعضائه .وفقاً لمؤسسة الأبحاث"German Marshall Fund" ، أظهرت الحرب ضرورة تعزيز القدرات الدفاعية الجماعية، مما دفع الدول الأعضاء إلى زيادة ميزانياتها العسكرية، مع التركيز على تعزيز الدفاعات في الجناح الشرقي للحلف[25] وبذلك تصاعد التوتر الاستراتيجي إذ اعتبرت روسيا توسع الناتو ووجوده قرب حدودها تهديداً وجودياً، وصرّحت بذلك مراراً فالحرب الأوكرانية عمّقت هذا التصوّر، وأنتجت واقعاً جديداً من العداء المفتوح بين الجانبين ، كما أدى الهجوم الروسي إلى تسريع عملية انضمام فنلندا والسويد إلى الناتو في عام 2022، مما وسّع نطاق الحلف ليشمل منطقة الشمال الأوروبي، وزاد من الضغط على روسيا على جبهات متعددة.

ثالثاً: تأثيرات اقتصادية وجيوسياسية

فرض الناتو وحلفاؤه عقوبات اقتصادية قاسية على روسيا، مستهدفين قطاعات الطاقة والمالية والتكنولوجيا، مما أدى إلى تراجع الاقتصاد الروسي وزيادة عزلتها الدولية .في المقابل، شهدت دول الناتو ارتفاعاً في أسعار الطاقة، مما دفعها إلى البحث عن مصادر بديلة للطاقة وتقليل الاعتماد على روسيا[26] من جهة أخرى، أدت الحرب إلى تعزيز العلاقات بين روسيا والصين، حيث أصبحت الصين الشريك التجاري والاقتصادي الأكبر لروسيا، مما يعكس تحولاً في التحالفات الجيوسياسية التقليدية[27]

رابعاً: تهديدات هجينة وأمن سيبراني

استخدمت روسيا أساليب الحرب الهجينة ضد دول الناتو، بما في ذلك الهجمات السيبرانية، والتضليل الإعلامي، واستهداف البنية التحتية الحيوية .في مايو 2024، أعربت "مجموعة الناتو" عن قلقها من الأنشطة الروسية على أراضي الحلف، مشيرة إلى التحقيقات التي أسفرت عن توجيه تهم ضد أفراد مرتبطين بأنشطة "دول معادية [28] وفي 2 مايو 2024، أ عرب مجلس الناتو عن قلقه العميق إزاء الأنشطة الروسية الهجينة على أراضي الحلف، مشيراً إلى التحقيقات التي أسفرت عن توجيه تهم ضد أفراد مرتبطين بأنشطة "دول معادية" في دول مثل التشيك، إستونيا، ألمانيا، لاتفيا، ليتوانيا، بولندا، والمملكة المتحدة .شملت هذه الأنشطة التخريب، والعنف، والتدخلات الإلكترونية، وحملات التضليل، والعمليات الهجينة الأخرى .وأكد الناتو على استعداده لمواجهة هذه التهديدات بشكل فردي وجماعي، وتعزيز قدراته لمكافحة هذه الأنشطة.[29]

خامساً: انهيار اتفاقيات الحد من التسلح

أدت الحرب الروسية الأوكرانية إلى انهيار العديد من اتفاقيات الحد من التسلح بين الناتو وروسيا، بما في ذلك معاهدة "نيو ستارت" الخاصة بالأسلحة النووية .وفقاً لمقال نُشر في مجلة

"International Politics"، فإن هذه الحرب كانت سببا في توقف مفاوضات الحد من التسلح النووي بين الناتو وروسيا [30]

وعليه فقد أعادت الحرب الأوكرانية تشكيل العلاقة بين الناتو وروسيا بشكل جذري، إذ انتقلت من التعاون المحدود إلى حالة من العداء والتوتر المستمر، هذا التحول يعكس التحديات الأمنية والاقتصادية والجيوسياسية التي تواجهها المنطقة، ويستدعي استراتيجيات جديدة للتعامل مع هذه التغيرات فقد أحدثت الحرب الأوكرانية تحولات عميقة في علاقة الناتو بروسيا، وأظهرت حدود الردع التقليدي، الأمر الذي مهّد الطريق نحو تحول جوهري في العقيدة الاستراتيجية للحلف

المبحث الثالث: التحول في العقيدة الاستراتيجية لحلف الناتو بعد الحرب الأوكرانية

يتناول هذا المبحث مظاهر التحول التي طرأت على العقيدة الاستراتيجية للناتو في ضوء الحرب الروسية الأوكرانية، مركّزاً على انتقال الحلف من استراتيجية الردع إلى ما يُشبه سياسة المواجهة المباشرة، من حيث الانتشار العسكري، وتغيير الأولويات، وتوسيع المهام الدفاعية والهجومية للحلف.

المطلب الأول: الانتقال من الردع إلى المواجهة المباشرة

شهد حلف شمال الأطلسي (الناتو) تحولاً جذرياً في عقيدته الاستراتيجية بعد الحرب الأوكرانية، حيث انتقل من استراتيجية الردع إلى المواجهة المباشرة .وفقاً للمفهوم الاستراتيجي الجديد الذي أقره الحلف في قمة مدريد عام 2022، بتصنيف روسيا كأكبر تهديد مباشر لأمن الحلف، مما يستدعي تعزيز القدرات الدفاعية والتواجد العسكري في المناطق الشرقية[31]

هذا التحول يتجسد في زيادة الإنفاق العسكري، وتوسيع نطاق الانتشار العسكري في دول البلطيق وبولندا، وتعزيز التعاون مع الدول الشريكة في شرق أوروبا .كما تم تعزيز القدرات السيبرانية والفضائية لمواجهة التهديدات المتزايدة.

وعليه فان المفهوم الاستراتيجي الجديد للناتو(2022) أقرّ في قمّته بمدريد (يونيو 2022) "المفهوم الاستراتيجي الجديد"، الذي وصف روسيا لأول مرة بأنها أكبر تهديد مباشر لأمن الحلفاء إذ تَضمّن المفهوم تركيزاً أكبر على الدفاع الإقليمي، وتوسيع الوجود العسكري الدائم في أوروبا الشرقية مع إعادة توزيع القوات وكما يلي[32]

1- زاد الحلف من انتشار قواته في دول البلطيق وبولندا ورومانيا وبلغاريا.

2- تشكيل "قوات دفاع متقدمة" دائمة بدلاً من مجرد قوات رد سريع مؤقتة.

3- اعتماد نموذج "الردع من خلال الإنكار" بدلاً من "الردع من خلال العقاب"، أي وجود قوة كافية لمنع الاختراق، لا فقط التهديد بالرد بعده.

اما في مجال التدريبات والمناورات: فقد

1- كثّف التدريبات المشتركة تحت ظروف حرب حقيقية، ورفع الجاهزية العملياتية.

2- إجراء مناورات ضخمة) مثل Steadfast Defender و (Defender Europeتحاكي مواجهة روسية مباشرة.

وبذلك ادخل تكنولوجيا جديدة في مجالات الدفاع الجوي، الصواريخ الباليستية، والأنظمة غير المأهولة وعزز "الردع النووي" من خلال تطوير البنية التحتية لاستضافة الأسلحة النووية التكتيكية في أوروبا.

المطلب الثاني: التحديات والفرص الناتجة عن هذا التحول

أولا: - التحديات

تتمثل التحديات الناتجة عن التحول من الردع الى المواجهة بخطر التصعيد أي ارتفاع احتمال المواجهة المباشرة مع روسيا، بخاصة في المناطق الحدودية، ومن ثم الانقسام داخل الحلف إذ ان بعض الدول مثل ألمانيا وفرنسا تميل إلى الحوار مع روسيا، فيما تتبنى دول البلطيق وبولندا مواقف أكثر تشدداً.

وهناك تحد مهم تمثل بالعبء الاقتصادي حيث حصل ارتفاع غير مسبوق في الإنفاق العسكري للدول الأعضاء، على حساب ملفات اجتماعية واقتصادية داخلية.[33]

وعليه فأن هذا المفهوم الاستراتيجي الجديد يتضمن تركيزاً أكبر على الدفاع الإقليمي، وتوسيع الوجود العسكري الدائم في أوروبا الشرقية، مع إعادة توزيع القوات، وذلك لمواجهة التهديدات المتزايدة من روسيا.

ثانيا: الفرص

تمثلت الفرص في تجديد وحدة الحلف إذ أعادت الحرب الأوكرانية توحيد صفوف الناتو بعد سنوات من التباين الداخلي، بخاصة بعد أزمة الانسحاب من أفغانستان، ومن ثم تسريع التحديث الاستراتيجي حيث أصبحت الحرب محفزاً لإعادة تقييم العقيدة، ورفع مستوى الجاهزية العسكرية، أضف الى ذلك توسع الحلف تمثل ذلك في انضمام فنلندا وانضمام السويد وهذا ما يعزز البُعد الجغرافي والأمني للناتو في شمال أوروبا، مما سيؤدي الى إعادة رسم خريطة الأمن الأوروبي وستتحول مناطق مثل بحر البلطيق والبحر الأسود إلى ساحات اختبار دائمة لسياسات الناتو الجديدة، وقد تستحدث آليات تعاون أمني مع شركاء من خارج الحلف (مثل أوكرانيا، جورجيا، اليابان، أستراليا).

"توافق قادة دول حلف شمال الأطلسي (الناتو) في القمة التي عقدت بالعاصمة الإسبانية مدريد على مفهوم استراتيجي جديد للعقد المقبل ليكون بمنزلة خريطة طريق الحلف للسنوات المقبلة والذي يعتبر روسيا تهديدا مباشرا لقيم ومصالح الحلف وان الصين تشكل تحديا لهما".[34]

بناءً على ما تقدم أثبتت الحرب الأوكرانية أن حلف الناتو لم يعد يكتفي بسياسات الردع التقليدي، بل انتقل إلى نمط جديد من المواجهة المتعددة الأبعاد، يعكس تحولاً جذرياً في عقيدته الاستراتيجية، وهو ما سيكون له أثر عميق على بنية الأمن العالمي كما سنناقش في المبحث الرابع.

المبحث الرابع: تأثير التحول في العقيدة الاستراتيجية للناتو على الأمن الأوروبي والدولي

يُعالج هذا المبحث الآثار المترتبة على تحول العقيدة الاستراتيجية لحلف الناتو في ضوء الحرب الأوكرانية– الروسية بخاصةً على منظومة الأمن الأوروبي، وتوازن القوى الدولية، ومستقبل العلاقات مع القوى الكبرى الأخرى. فقد شهدت العقيدة الاستراتيجية لحلف شمال الأطلسي (الناتو) تحولاً ملحوظاً خلال العقد الأخير، لاسيما بعد عام 2014 مع ضم روسيا لشبه جزيرة القرم، ثم لاحقاً مع الحرب الروسية الأوكرانية 2022، وتزايد التهديدات السيبرانية والجيوسياسية. فلم يعد الحلف يركز فقط على الردع النووي والحماية الإقليمية، بل أصبح يتبنى رؤية أوسع للأمن تشمل الأمن السيبراني، وأمن الطاقة، ومواجهة النفوذ الصيني، فضلا إلى الدفاع الجماعي. وقد انعكست هذه التغييرات بشكل مباشر على البيئة الأمنية في أوروبا وعلى التوازنات الدولية والتحالفات العسكرية. وسنحاول في هذا المبحث تحليل هذه التأثيرات في مطلبين.

المطلب الأول: تأثير التحول على الأمن الأوروبي

أدى التحول في العقيدة الاستراتيجية للناتو إلى تغيرات جذرية في السياسات الأمنية لدول أوروبا. من أبرز هذه التحولات:

أولا: - تعزيز الانتشار العسكري في شرق أوروبا:

عقب الأزمة الأوكرانية، قام الناتو بنشر قوات عسكرية إضافية في بولندا ودول البلطيق، ضمن "القوة المتقدمة المعززة(Enhanced Forward Presence) "، بهدف ردع روسيا[35]. هذا الوجود العسكري المستمر يمثل تغييراً في العقيدة التي كانت تعتمد على الردع الاستراتيجي فقط دون وجود دائم[36].

ثانيا: - تعزيز الأمن الجماعي في شرق أوروبا:

أدّى التحول في العقيدة إلى تعزيز الشعور بالأمن في دول أوروبا الشرقية، خاصةً بولندا، ودول البلطيق، ورومانيا، من خلال زيادة عدد القوات الأجنبية والمنظومات الدفاعية وأصبحت الحدود الشرقية للناتو الأكثر تحصيناً منذ نهاية الحرب الباردة.

وبناءً عليه تم تقويض مبدأ "الأمن المتبادل" مع روسيا إذ لم تعد روسيا تُعامَل كـ "شريك محتمل في الأمن الأوروبي" كما كان عليه الحال بعد 1997، بل صارت "تهديداً دائماً"، ما قلّص من فرص الحوار الاستراتيجي طويل الأمد(37).

المطلب الثاني: تأثير التحول على الأمن الدولي والتحالفات العسكرية

ساهم التحول في تصعيد التوتر بين القوى الكبرى، وأعاد أجواء الحرب الباردة الى تزايد التوتر في النظام الدولي وأصبح العالم أمام جبهتين متقابلتين: الناتو وحلفاؤه، مقابل روسيا والصين بدرجة أقل.

وشجع ذلك تشكيل تحالفات مضادة وعزز العلاقات الروسية الصينية، وتنسيق مشترك في قضايا استراتيجية (مثل بحر الصين الجنوبي، الطاقة، والنظام المالي) ومن ثم احتمالية تشكيل تحالفات غير رسمية لموازنة النفوذ الغربي (مثل منظمة شنغهاي للتعاون، أو "بريكس+") وأدى ذلك الى تحول الصراع على مناطق الأخرى، في ضوء ما تقدم نرى تحول في العقيدة الاستراتيجية لحلف الناتو من خلال خلق ديناميكيات جديدة للتحالفات، ورفع درجة الاستقطاب، وتعزيز التسلح. ويبدو أن هذا التحول سيكون طويل الأمد، مما يستدعي تحليلاً عميقاً لما آلاته وتداعياته المستقبلية.

الخاتمة

يمثل التحول في العقيدة الاستراتيجية لحلف الناتو، في ضوء الحرب الروسية الأوكرانية، نقلة نوعية في بنية التفكير الأمني والعسكري داخل أكبر تحالف دفاعي في العالم. لقد أظهرت هذه الحرب أن السياسات التقليدية القائمة على الردع لم تعد كافية لاحتواء التهديدات المعاصرة، خاصة مع روسيا التي تبنت سلوكاً هجومياً غير مسبوق منذ الحرب الباردة.

وقد بيّن البحث أن الناتو انتقل فعلياً من فلسفة الردع المبني على التهديد إلى سياسة مواجهة متعددة المستويات، تتضمن إعادة تموضع عسكري دائم، وتطوير شراكات إقليمية ودولية، وتوسيع قدراته السيبرانية والنووية والتقليدية.

كما اتضح أن هذا التحول لم يقتصر على الساحة الأوروبية فقط، بل حمل تداعيات كبيرة على النظام الدولي، وأعاد تشكيل التحالفات، وعزز مناخ التوتر الاستراتيجي، وهدد التوازنات التي كانت قائمة لعقود.

التوصيات

بناءً على ما سبق، يمكن الخروج بعدد من التوصيات:

1. على دول حلف الناتو أن تسعى إلى إيجاد توازن بين متطلبات الردع والمواجهة، وبين ضرورة إبقاء قنوات الاتصال الاستراتيجي مفتوحة مع روسيا، لتفادي الانزلاق نحو صراع أوسع.
2. ضرورة صياغة استراتيجية شاملة تتضمن أبعاداً أمنية وسياسية واقتصادية، تُعالج جذور التوتر مع روسيا، لا مجرد مظاهره العسكرية.
3. ينبغي على الناتو تطوير آليات فعالة للتعامل مع التهديدات غير التقليدية (مثل الحرب السيبرانية، والمعلوماتية، والحرب الهجينة)، باعتبارها من أبرز أدوات روسيا في مرحلة ما بعد أوكرانيا.
4. يجب أن تستمر أوروبا في تعزيز قدراتها الدفاعية الذاتية ضمن إطار الناتو، من دون الاعتماد المطلق على الولايات المتحدة، بما يضمن توازناً داخل التحالف.
5. ضرورة مراقبة تأثير التحول في العقيدة الاستراتيجية للناتو على مناطق النزاع الأخرى، لا سيما في الشرق الأوسط وأفريقيا، لتجنّب فراغات استراتيجية قد تملأها قوى منافسة.
6. على مراكز البحوث وصناع القرار توجيه مزيد من الدراسات المستقبلية لاستشراف أثر هذا التحول على موازين القوى العالمية خلال العقد المقبل.

المصادر

(1) تقرير من وكالة تاس الروسية على الرابط https://www.nato.int/cps/en/natohq/news_197281.htm?utm
(2) تقرير من وكالة رويترز على الرابط
https://www.politico.eu/article/nato-leader-adopt-strategy-blueprint-bra-direct- threat/?
(3) حلف شمال الأطلسي (الناتو).. تحالف عسكري لاحتواء "الخطر الشيوعي" آخر تحديث15/7/2024 : على الرابط https://aja.me/5heq8l
(4)https://www.nato.int/cps/en/natohq/topics_56626om NATO 2022 Strategic Concept (i, French and other languages)
(5)*NATO's Enlargement: A Strategy for Stability or a Source of Tension?* (International Affairs Journal)
(6) لمزيد من التفصيل على الرابط https://www.upi.com/Top_News/World-News/2016/06/14/NATO-officially-recognizes-cyberspace-as-domain-for-war/2271465941
(7) أسماء حداد،مدارات سياسية ،الحروب الهجينة: الأزمة الأوكرانية أنموذجا، ص 114-129، 2017
(8) مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة، دور حلف الناتو في محاربة الإرهاب: أي دروس مستفادة؟ على الرابط https://www.derasat.org.bh/ar/publications-ar-ar/natos-role-in-combating-terrorism-what-lessons-learned?utm_source=chatgpt.com
(9) مركز ابعاد للدراسات الاستراتيجية، وثيقة المفهوم الإستراتيجي لحلف الأطلسي- 2022
(10) لمزيد من التفصيل على الرابط: https://foreignpolicy.com/2025/03/06/nato-5-percent-defense-spending-trump-russia
(11) وثيقة المفهوم الاستراتيجي لحلف الناتو – قمة مدريد 2022 على الرابط https://www.nato.int/strategic-concept
(12) لمزيد من التفصيل على الرابط https://epc.ae/topics/china-in-nato-strategy
(13) لمزيد من التفصيل على الرابط https://www.csis.org/analysis/nato-and-china-long-game
(14) ليـــلى طورشـــــي،المفاهيم الإستراتيجية للحلف الأطلسي ما بعد الحرب الباردة،مجلة الفكر القانوني والسياسي، ص383-367، سنة 2018

(15) لمزيد من التفصيل انظر الرابط https://www.nato.int/cps/in/natohq/official_texts_68580.htm?selectedLocale=ar&
(16) Posen, B. R. (1984). *The Sources of Military Doctrine: France, Britain, and Germany Between the World Wars*. Cornell University Press
(17) Nye, J. S. (2017). Deterrence and Dissuasion in Cyberspace. International Security, 41(3), 44–71.
(18) Reichborn-Kjennerud, E., & Cullen, P. (2016). What is Hybrid Warfare? Norwegian Institute of International Affairs (NUPI), Policy Brief
(19) محمود عبد الهادي ، إستراتيجية بايدن للأمن القومي الأميركي.. (3) تحديث الثالوث النووي، متوفر على الرابط https://thecanadianarab.com/category/the-canadian-news/
(20) لمزيد من التفصيل انظر تقرير الجزيرة على الربط : https://www.aljazeera.com/news/2023/2/15/infographic-how-much-have-nato
(21) لمزيد من التفصيل انظر التفاصيل على الرابط مصدر سبق ذكره- https://www.aljazeera.com/news/2023/2/15/infographic-how-much-have-nato-members-spent-on-ukraine?u
(22) لمزيد من التفصيل انظرNATO to Consider Increasing, Stabilising Support for Ukraine على الرابط https://pism.pl/publications/nato-to-consider-increasing-stabilising-su
(23) FACTBOX: Western countries' military support for Ukraine https://tass.com/world/1865131?
(24)Relations with Russia https://www.nato.int/cps/ra/natohq/topics_50090.htm?
(25) The Impact of the War in Ukraine on the Transatlantic Relationship https://www.gmfus.org/news/impact-war- m
(26) NATO War with Russia: An In-Depth Analysis https://eng.lsm.lv/article/features/commentary/03.04.2024-russia-nato-relations-in-the-context-of-confrontation.
(27) - Russia-NATO relations in the context of confrontation https://eng.lsm.lv/article/features/commentary/03.04.2024-russia-
(28) Russian hybrid warfare https://en.wikipedia.org/wiki/Russian_hybrid_warfare?utm_
(29) Russia-backed group hacked into networks of police and NATO, say Dutch authorities https://www.reuters.com/world/russia-backed-group-hacked-into-networks-police-nato-say-dutch-authorities-
(30) - NATO after the invasion of Ukraine: how the shock changed alliance cohesion https://link.springer.com/article/10.1057/s41311-024-00629-x
(31) حسن نافعة، قراءة في المفهوم الإستراتيجي الجديد للناتو، مجلة الوعي العربي، 17 سبتمبر 2022
(32) جريدة الانباء الكويتية، المفهوم الإستراتيجي الجديد لـ«الناتو».. روسيا تهديد مباشر والصين تحدٍ على الرابط https://www.alanba.com.kw/1128081?u
(33) حسابات جيوسياسية.. كيف يتفاعل "الناتو" مع تحدياته الشرقية؟، القاهرة الإخبارية، ٢٩ يونيو ٢٠٢٣، على ارابط https://alqaheranews.net/news كذلك أمن أوروبا ـ كيف تستعد أوروبا للحرب العالمية الثالثة؟ 5 ديسمبر, 2024على الرابط https://www.europarabct.com
(34) جريدة الأنباء الكويتية، 1 يوليو 2022. مصدر سبق ذكره
(35)NATO (2022). Strategic Concept. https://www.nato.int/strategic-concept
(36) المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات (2022). "إستراتيجية الناتو الجديدة: الأبعاد والنتائج على الأمن الأوروبي
(37) NATO, the Russian Invasion of Ukraine, and the 2022 Strategic Concept https://gjia.georgetown.edu/2022/11/09/nato-the-russian-invasion-of-ukraine-a ?